

الاغتراب والوجودية في اغاني الحارس المتعب لبلند الحيدري

الدكتور اريج كنعان

مدرس بقسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة بغداد

شهد الوطن العربي بعد عصر النهضة ودخول العالم في الحربين الكونيتين، شهد جملة من المتغيرات على الصعيد السياسي والإيديولوجي والاجتماعي، فضلاً عن الفني فكان ان عانى الإنسان العربي عامة والمتقف خاصة من انواع مختلفة من الصراعات والتحويلات تمخض عنها تفاقم في حالة الشعور بالاغتراب عن مجتمعه فحذى هذا الجانب ونماه بشكل أكبر التأثر بالثقافات الغربية الوافدة واطلاع الشاعر العربي وتأرجحه بين التيارات الفكرية والفنية ومنها الوجودية والرومانسية، وانتقاله فيما بعد الى الواقعية ذات المنطلقات الذاتية غير المتجردة من رؤية الشاعر لذلك الواقع وتصوره له لاسيما ذلك التصور الملتقط لأبشع ما في ذلك الواقع من صور أنسانية مسحوقة بفعل رفض ذلك الواقع بكل ضغوطه وتخلقاته ورؤية الشاعر وحلمه بما يمكن ان يكون عليه وعجزه واستسلامه او ضعفه عن تغيير وقلب ما هو كائن اصلاً على الصعيد السياسي والاجتماعي فضلاً عن الذاتي، لذا كان كل ذلك اسباباً مباشرة في ايجاد ذلك التأزم الواضح الذي وجدنا اثاره بشكل بارز في نتاج شعراء المرحلة - ومنهم بلند الحيدري - فكان الاغتراب سمة واضحة المعالم في شعرهم .

و الاغتراب ظاهرة قديمة قدم الإنسان في هذا الوجود، فمنذ ان تكونت المجتمعات الأولى نشأت معها وفي ظلها الأزمات التي تتمخض - بشكل او بآخر - عن انواع من الاغتراب لذا فهي ظاهرة لا ترتبط بمجتمع معين او تنظيم اجتماعي اقتصادي بالذات، انما هي ظاهرة يمكن ان نترصدها وندرسها في كل انماط الحياة الاجتماعية وان كانت تظهر بغير شك نتيجة لتوافر شروط وظروف معينة، عانى منها الفرد وواجهها وفقاً لحجم طاقاته العادية والروحية، فضلاً عن

ان شدة هذه الظاهرة ومدى شيوعها تختلفان باختلاف هذه الثقافات والايوضاح الاجتماعية لذا فقد تقود الافراد الى التمرد والعصيان احياناً، او ان تفضي بهم الى الاستسلام والانعزال والانكفاء على الذات.

وقد ((عانى الانسان العربي بعامّة والمتقف بخاصة، من اغترابات شتى، واتسمت ردود فعله بأشكال شتى تراوحت بين الانسحاب من الواقع الى هامش الحياة او الرضوخ للنظام القائم و الاندماج في مؤسساته او التمرد بنوعيه، الفردي والثوري الجماعي، او الهجرة الى الخارج بحثاً عن فرص افضل في الحياة))^(١).

وترد مادة (عَرَب) في المعجمات العربية للدلالة على البعد فجاء ((العَرَب والعَرَبية: الذهاب والتتحي والنوى، والعُرب والعُربة: النزوح عن الوطن وكذلك الاغتراب والتغرب، والتغريب: النفي عن البلد، والغريب: البعيد عن الوطن، والجمع: غرباء ومؤنثه غريبة))^(٢).

وقيل ((لكل متباعد غريب ولكل شيء فيما بين جنسه عديم النظير غريب... والغراب سمي لكونه مبعداً في الذهاب... وسمي الدلو غَرَباً لتصور بعدها في البئر. والعَرَب الذهب لكونه غريباً فيما بين الجواهر الأرضية))^(٣).

واستنباطاً من هذه الحدود اللغوية، لمفردة الغربية والأغتراب اجترح لنا الدارسون مفاهيم متعددة للأغتراب^(٤)، لعل اوضحها هو ((الانسلاخ عن المجتمع والعزلة والانعزال، والعجز عن التلاؤم، و الأخفاق في التكيف مع الاوضاع السائدة في المجتمع، واللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء، بل وايضاً انعدام الشعور بمعزى الحياة))^(٥).

وفي اللغة الانكليزية ((يشير القاموس الانكليزي الى مصطلح الأغرّاب (Alienation) مشتق من الصفة (Alienate) فمعناه يبعد او يحول دون ان يفقد صداقة، وترجمة (Alienation) الحرفية تعني ابعاداو تحويل او غربة عن المجتمع))^(٦).

وقد ورد مصطلح الأغرّاب بمسميات اخرى تؤدي معناه منها الانعزال والوحدة والغربة و الأنفصال و التخارج و الأنخلاع والتخلي والانتقال والتجنب والابتعاد، وغيرها من هذه المعاني الاصطلاحية^(٧).

من هنا نجد تعدداً واضحاً في معانيه ودلالاته، فهو يدخل في مجالات الحياة كلها ويرتبط بالمشاعر الإنسانية كالقلق والخوف والضياع لذا حاول الباحثون وضع بعض الدلالات لهذا المفهوم ومنها^(٨) :

- ١- العجز
- ٢- فقدان الهدفية
- ٣- فقدان المعايير
- ٤- التنافر الثقافي
- ٥- العزلة الاجتماعية
- ٦- الاغتراب الذاتي

وقد اقترنت كلمة (اغتراب) في مصادرها الفكرية ((بمضمونها الفلسفي الذي منحها اياه تاريخ الفلسفة، بوصفها حالة من حالات الوجود الإنساني منذ بداية استخدام هذا اللفظ من بعض مفكري العصر الحديث حتى انتشاره معناً أكثر شمولاً في الفلسفة المعاصرة))^(٩) فقد استخدمت هذه المفردة في كل من الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس وفي الدين والسياسة وغيرها، مما وسع من نطاق معانيها ومفاهيمها ودلالاتها ليجعلها هذا التوسع عاتمة وشاملة لمفاهيم ومضامين متعددة اقترنت بها عبر تطورها في تاريخ البشرية الطويل، لذا فإن ((هذا الأتساع في معاني المصطلح وتعدد مذاهب القائمين على دراسته، جعل من الصعب اعطاء مفهوم محدد له، بسبب التداخل الحاصل بين انواعه، اذ ان الاغتراب النفسي... وهكذا الاغتراب الديني))^(١٠) واستناداً الى ما سبق يمكن عدّ الاغتراب ظاهرة انسانية توجد في مختلف انماط الحياة الاجتماعية وفي كل النظم والثقافات، وهو ظاهرة قديمة قدم الانسان في هذا الوجود فمنذ ان تكونت المجتمعات الاولى نشأت معها وفي ظل سننها وتقاليدھا المشاكل والازمات التي كانت تتمخض، بشكل او بآخر عن انواع من الاغتراب عانى منها الفرد، وكانت تقود حيناً الى التمرد والعصيان ومواجهة المجتمع، او الى الاستسلام والانعزال والانكفاء على الذات في احيان أخرى، وهو بصورة عامة لا يختص بعصر دون اخر ولا يقتصر على قوم دون اخرين^(١١)، لذا فقد تتبّع كثير من الدارسين ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي على اختلاف عصوره وصولاً الى العصر الحديث وتتبع اسبابها ونتائجها في الشعر الحديث^(١٢)، وهي في مجملها اسباب تعود الى

المجتمع والواقع الذي يريزح تحته الشاعر غير قادر على التكيف مع كل متغيراته وضغوطه لذا كان الواقع وحروبه وثوراته وضغوطه السياسية والاجتماعية وبحث الشاعر عن الحرية المفقودة واحساس الشاعر العالي بالتناقض بين الواقع والحلم، فضلاً عن التشتت الحاصل بسبب عدم وضوح الرؤية بفعل تعدد النظريات الفكرية والايديولوجية مما حدا بالشاعر الى البحث عن ذاته في خضم هذه الثورة المتشظية من الافكار والرؤى المختلفة والمتناقضة احياناً^(١٣)، مما خلق حالة من عدم القدرة على الفعل والانعزال والاكتفاء بدور المراقب دون فعل المشاركة مما انعكس على طبيعة العلاقات المشككة مع الاخر (الجماعة) لذا فالفرد المنعزل المستوح المكتفي بذاته، هو الابرز في هذا العصر لذا ما عاد الشاعر الحديث يدعو صحبه الى البكاء على الاطلال كما درج على ذلك الشاعر القديم انما جعل شاعرنا الحديث العالم كله اطلالاً وخراباً ولم يجد من يستوقفه لعجزه عن ايجاد من يدرك ما يعانیه ويفهم رؤيته لذلك الواقع بفعل احساسه العالي بالاغتراب الروحي والفكري عن تلك الجماعة التي كانت سبباً مباشراً او غير مباشر بما وصل اليه، مما دفعه الى ((التجرد وعدم الاندماج النفسي والفكري... وانعدام التكيف فهو يحاول نقل ما يحس به من معاناة وهموم في اعماله الادبية، لكنه في ذلك لايهدف الى مجرد نقل مناظر الحياة كما هي، بل عملية اختيار وتصفية تتركز على فلسفته المستمدة من واقعه الاجتماعي))^(١٤).

ويبدو ان التأثير بالفكر الغربي الذي اجتاحت الساحة العربية واثر على الشباب عامة والشعراء خاصة كان له دور واضح وبارز في تعميق الاحساس المتضخم بالاغتراب اذ ان ((انفتاح الواقع العربي على الفكر الليبرالي الغربي يعدّ احد العوامل التي اثرت في انطلاق حركة تطور الفكر العربي المعاصر))^(١٥)، لذا برز لدينا ما يمكن ان نطلق عليه (انهيار القيم الانسانية) لذا وجدنا - لاسيما في الشعر - الموت والالم والجوع وخيبة الامل... الخ، ما اغرق الشعر بذلك الاغتراب الذي يمكن ان يعدّ جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة الانسانية .

ولعل الوجودية واحدة من ابرز المذاهب الفكرية التي وجدناها في هذه المرحلة التي ارتبطت بشكل واضح مع ذلك الاغتراب الطاعي ولعل احدهما سبباً في اختيار الآخر .

يحدد جان بول سارتر الاسباب التي ادت الى ظهور الفلسفة الوجودية بـ((الازمات الاقتصادية التي برزت في القرن العشرين، والحروب التي عصفت بالعواطف واضاعت القيم وهدرت المبادئ السامية))^(١٦) كانت الطريق الممهدة ليعود ((الانسان عن ايمانه بالمجتمعية، وبالأفكار الانسانية الشاملة وبالحقائق التي لا تنقص))^(١٧) فأرتد الانسان الى نفسه، اذ ليس غريباً بفعل كل تلك الاسباب ان يتقهقر الانسان الى ذاته لشعوره بمأساة عصره وفقدانه الثقة بمجتمعه، حتى وصل الى مرحلة الاكتفاء بالذات.

لذا يشير جون ماكوري الى ان الوجودي غالباً ما كان ((يشعر بأزمة وبتهديد وبتمزق واغتراب))^(١٨) ومن هنا وجدنا ان الاغتراب جزءاً من المذهب الوجودي او نتيجة الاعتقاد بهذا المذهب فضلاً عما يمكن ان نشير له غير مغالين في ذلك هو ان الاحساس بالاغتراب هو ما دفع البعض الى اتخاذ المذهب الوجودي بمعتقداته وافكاره وتبني رؤياه للمجتمع وافراده اذ تأتي الوجودية لتضع ((الانسان بوجه حقيقته، وان تحمله بالتالي المسؤولية الكاملة لوجوده، فالاغتراب يرتبط لديها بالحرية الفردية التي هي معنى الحياة لذلك فهو يعد في نظرها ذرب من ضروب الوجود الزائف))^(١٩).

وعلى الرغم من ان الوجودية، قد انحسرت بعد ان وصلت الى ذروتها في المرحلة الممتدة بين خمسينيات وستينيات القرن المنصرم، الا انها ظلت حاضرة لدى كثيرين، لا سيما من يمتلكون الفكر الوجودي الذي يرتبط بالضرورة بالأفكار المستمدة مما طرحه التيار الوجودي الفلسفي ومنهم فئة من المبدعين الذين ظل الفكر الوجودي يستغرق نتاجاتهم حتى وقت متأخر من العصر الراهن، فالأزمات الانسانية في تقاوم، مما يفاقم ضعف الايمان بالمجتمعية فضلاً عن الثورة التقنية التي غيرت الكثير من القيم والعادات وغيرت طبيعة الظرف الإنساني .

ولا يخفى على احد تمثل هذا التيار الوجودي في شعر وفكر بلند الحيدري حيث يمكن تلمس حضوره في ثنايا مجاميعه الشعرية المختلفة والمتعاقبة وان عرف بانتقاله في مرحلة معينة الى الواقعية، الا ان اصداء الوجودية ومشاربها الفكرية مازالت ماثلة هنا وهناك بين اسطره الشعرية متجسدة في ظاهرة الاغتراب التي طغت على الكثير من شعره وهو ما وجدناه بشكل جلي في المجموعة التي أثرنا اختيارها وهي (اغاني الحارس المتعب) .

يقول بلند عن اسباب تفرد بانتهاج هذا التيار - الوجودي - من دون سواه من الرواد بقوله: ((فكنت آنذاك اكاد انفرد بهذه التجربة التي دخلتها من خلال قراءاتي لسارتر وكيركجارد وهايجر وغيرهم، ومن خلال مناقشاتي مع صديقي الأستاذ عبد الرحمن بدوي الذي التقيته في بغداد، في اوائل الخمسينيات، ولقد انعكست هذه التجربة ذات الطابع الفلسفي الحزين على اعماله الشعرية والنثرية))^(٢٠).

ويبدو ان الثورات وخيبات الامل التي مرَّ بها بلند الحيدري وخضوعه لحكم الإعدام الذي لم ينفذ في اللحظة الاخيرة واجتياح التيار الوجودي وهو تيار فكري لا يتسم بالطابع الصراعي^(٢١)، مع ما يسبغه ذلك الفكر من تفاقم في حالة اللا انتماء وتصوير النواحي البشعة في المواقف الانسانية، كل ذلك مجتمعاً هو ما اسبغ ظاهرة الاغتراب بوصفها الظاهرة الابرز في شعر بلند الحيدري لاسيما في المجموعة قيد الدرس.

واختلفت الدراسات في تحديد انواع الاغتراب وانماطه ومنها دراسة محمد راضي جعفر الذي حدد انماط الاغتراب بالآتي^(٢٢):-

١- الاجتماعي والعاطفي

٢- السياسي والمكاني

٣- الروحي

ولعل ابرز دراسة وقفت عند انماط الاغتراب وانواعه مروراً بالشعراء الرواد ومنهم بلند الحيدري وما امتاز به شعرهم من مظاهر الاغتراب تلك هي دراسة الدكتور فليح كريم الركابي، اذ حدد انواع الاغتراب بالآتي^(٢٣):

١- النفسية

٢- الاجتماعية

٣- الفكرية

٤- الروحية

وهذا التقسيم لا يكون قسرياً اذ نلاحظ التداخل الواضح بين هذه الانواع لاسيما الروحي الذي يدخل ضمناً مع الانواع الثلاثة السابقة، وبعد الاطلاع على مجموعة (اغاني الحارس المتعب) وجدنا ان السمة البارزة في هذه المجموعة

هي سمة الاغتراب بأنواعه واشكاله المختلفة التي لا يخفى على من تتبع تاريخ بلنذ ان يتلمس الاسباب الموضوعية والذاتية التي تقف وراء ذلك .
وتعد مجموعة (اغاني الحارس المتعب) الأبرز بين مجاميعه الشعرية المتعددة، اذ قيل عنها: ((انه جديد تجربة ومعاناة، وتعبيراً وإخراجاً سيرة جديدة لشاعر نضجت ثماره تماماً، فانقطفت شعراً ذاتياً خالصاً))^(٢٤) .

فقد نضجت تجربة بلنذ الحياتية والفنية بشكل واضح واستطاع التوفيق ((بين الذاتية والموضوعية، كأبي شاعر واقعي ثوري... لكن دون ان يقع في الهتافية او التصنع))^(٢٥) وهذا ما لمسناه في هذه المجموعة التي جاءت محملة بفيض من الذاتية المتغربة المستوحدة مع ما تحمله من الم ومرارة مردها الواقع، أي يمكن القول انها زاخرة بذاتيتها ذات البواعث الموضوعية التي رسمت ملامح تلك الشخصية وحددت ابعادها النفسية والوجودية ومن ثم موافقها ازاء ذلك الوجود بكل خيبياته وانكساراته وسحقه للإنسان المعاصر، وبلنذ واحد من الذين عبروا بشكل جلي عن استنعاره بانسحاق ذلك الانسان من خلال تصوير بواطن الذات لديه او ما هو ابعد من ذاته باستيطان الاخر وتبعات تلك المرحلة على ذلك الآخر .

لذا فمذ البدء يطالعنا بصورة ذلك الحارس الحزين والمتعب الذي ماله الا الانتظار والرصد والترقب اذ يقول:-

اعرف كم انت حزين ايها الحارس
اعرف كم انت متعب ايها الحارس
وان الفجر الذي تنتظر ما زال
بعيداً ولكن

حذار من ان تنام، فالشوارع

المضاءة بالأف المصابيح مازالت

ملاى بالجريمة والزيف والخداع^(٢٦)

ولما كانت - في الاغلب الاعم - ذات الشاعر ومعاناته ورؤيته لهذا الواقع وشخصه هي المحور الاساسي في هذه المجموعة، لذا لا نغالي اذا ما قلنا ان الحارس هو نفسه، ربما لأنه يرى في نفسه حارساً للثورة او للمبادئ او ربما لدور الترقب والرصد الذي يفعله ازاء متغيرات المرحلة والعصر، وربما لأن الأثنين يعانيان السهر القسري قلقاً وخوفاً وترقباً.

ويأتي في هذه المجموعة التصريح بالاعتراب بطريقة مباشرة او غير مباشرة، ففي نص (من يدري يا بغداد) اعلان واضح ومباشر بحالة الاعتراب التي يعانيتها الشاعر في هذه المدينة التي كأنها هي ايضاً تعاني الاعتراب عن اهلها كما عانتها في ازمان كثيرة بفعل ما مرَّ بها من احوال وحوادث جسيمة والذي مازالت تعانيه الى الان (زمن النص) فكان الأثنان متغربان احدهما عن الآخر، يقول:

قد نغضب

قد يغترب الواحد منا في الثاني

قد نشعر إنا منبوذان

في أكثر من زمن ومكان

في غير سؤال.. في غير عتاب.. في غير دم قان
يتسلل من بين شقوق دروب جفت^(٢٧)

وتكرار (قد) هنا يوعز بحالة اللا استقرار النفسي الذي يعانيه مما خلف لديه حالة الاعتراب في هذه المدينة على الرغم مما يحمله لها من حب وذكريات مازال يحملها معه اينما حلَّ، والنص كله جاء خطاباً مباشراً شخص فيه في بعض الاحيان (بغداد) من خلال ما اضفى عليها من صفات إنسانية جعلها شريكة له فيما بعد بحالة الاعتراب التي تعانيه محدد السبب فيما بعد بقوله:

والتفت حمى في نقمة كلب مسعور

يبحث ما بين خرائب اطلالك عني

عما ابقت ديدان قبورك مني

لكننا.. سنظل.. وكما كنا^(٢٨)

وهنا نقف على السبب الرئيسي في حالة الاعتراب التي عاناها ومرده ان بغداد اصبحت لديه مكاناً معادياً وغير اليف عنده بفعل ما يلاقيه فيها من مطاردة وسفك لدمه من كلاب مسعورة حولت بغداد الى اطلال وقبور لثوارها ومفكريها. اما في نص (حلم في اربع لقطات) كان التصريح بالاعتراب بطريقة غير مباشر من خلال التصريح باللا انتماء لأي مكان اذ يقول:-
لا املك في كل الدنيا الا..

فسحة حلم
لا املك بيتاً لحنيني
صدراً يؤويني
لا املك مأوى في اي مكان
ولأني
لا املك مأوى
لا اعرف مقهى
ملهى
مبغى يلقاني
ولا امرأة في حان
سأظل هنا
وسأنتظر الدور الثاني (٢٩)

فحالة التشتت هنا في اللا مكان وخلو الدنيا لديه من احد ينتظره او يلجأ اليه مكرراً هنا (لا املك) لتأكيد الحالة وتقوية المعنى موحياً بطريقة غير مباشرة بحالة الاغتراب النفسي والروحي الذي يستشعره جاعلاً من الحلم والانتظار سبيلاً تعويضياً يعلل نفسه بهما.

ويمكن ان نستبطن نصوصه لنحدد الاسباب الذاتية والموضوعية - وهي الاغلب - التي خلقت تلك الحالة لديه وهي:-

١- الواقع السياسي والقهر والاضطهاد الفكري والجسدي الذي عانى منه الشاعر ويمكن ان يعد هو السبب الرئيسي والأكثر طغياناً على ذات الشاعر ومن ثم على نصوصه، ولعل النص السابق (من يدري يا بغداد) تجسيد لهذا السبب وتصريح مباشر به.

٢- العصر وهذا الزمن الذي ولد فيه بكل ما يجسده من خيبات امل وانهزامات وخسارات، فضلاً عن حالة الضياع والتشتت الفكري والاجتماعي الذي خلقتة صراعات وايدولوجيات هذه المرحلة، يقول في نص (هم.. وانا):-

فأنا انسان من هذا القرن المجنون
إنسان لا يمكن ان يحيا ويكون
الا في هذا القرن المجنون

قد يرفضني القرن العشرون
 قد يلعنني القرن العشرون
 لكني وجهك يا مجنون^(٣٠)

اذ يصرح هنا بأنه ابن هذا القرن المجنون بكل ما يحمله هذا القرن من تناقضات
 وتشتت وصراعات، مستشعراً الشاعر برفض الزمن له مسبغاً صفة الجنون عليه
 ليعود في مقطع آخر ليصف نفسه بالجنون وهنا يحقق المشتركات بينه وبين
 عصره، فهو ابن هذا العصر لذا لا عجب انه ما عاد قادراً على الضحك او
 البكاء اذ يقول:-

انا لا اعرف ان اضحك او ابكي
 انسان مجنون

في قرن مجنون
 يبحث في الوردية عن حقد الشوك
 انا لا اسأل لم تيبس اغصان الزيتون
 ولذلك لا اعرف ان اضحك
 لا اعرف ان ابكي^(٣١)

وعدم القدرة على الضحك او البكاء هو احياء بضياح الانفعالات الانسانية
 السامية المتمثلة بالسعادة والفرح او الحزن، فالزمن وصراعاته وافكاره جردت
 ابناء هذا الزمن من انسانيتهم لذا ما عادت الوردية تثيره، انما حقد الشوك هو ما
 يبحث عنه، وهنا مأخذ آخر من المآخذ التي تسجل على الوجودية ومعتقديها، اذ
 ان هذا المذهب يبرز النواحي البشعة في الموقف الانساني، ويهمل مواطن معينة
 جميلة تنتمي الى الجانب المشرق في الطبيعة الانسانية^(٣٢).

ويبدو ان طغيان السوداوية هو ما دفع اصحاب هذا المذهب ومنهم بلند الى
 استشعار تلك القباحة وفقدان الاحساس بالجمال والتجرد من السمات الانسانية
 السامية، ومن ثم جعل كل ذلك احساس الاغتراب طاغ في نصوصهم.

٣- الغربية المكانية: اذ يمكن ان نعد غربة الشاعر المكانية سواء أكانت داخل بلده
 بانتقاله من مدينته القديمة الى بغداد الأكبر والاسع والاكثر تأثيراً بالمدينة
 والمسرح الفعال لكل الصراعات الفكرية والسياسية والاجتماعية، ام الغربية

خارج الوطن. ففي كلا الحالتين كانت سبباً في استشعار (بلند) بالاغتراب عن المكان واهله.

ويشير محمد راضي جعفر الى اغتراب بلند الاجتماعي بسبب انتقاله الى المدينة بقوله: ((اما بلند الحيدري الذي بالغ في اعتزال المجتمع، فقد انعكس موقفه من المجتمع على موقفه في المدينة في مرحلته الاغترابية الأولى، فلم يزل شاباً، داهمته الغربية الاجتماعية، حين دخل المدينة حذراً من مجهول يخشاه)^(٣٣).

ففي نص (ثرثرة في الشارع الطويل) يتخذ من الحذاء وما يعانیه فيه من ضيق، يتخذه رمزاً لما يعانیه في هذه المدينة التي تدفع الى الجنون والرعب والخوف من شوارعها وان كانت مضاءة، لذا يسلط كل غضبه وكرهه على هذا الحذاء الذي اجبر على لبسه:-

امؤلم ان تلبس الحذاء كل يوم...؟

-اجل.. اجل اكره ان انزعه

اكره ان ألبسه

اكرهه، لولاه ما كانت لنا

غير مسافات الرؤى في النوم.

لولاه ما كان لنا في الشارع الطويل

الرعب

والضياح

والمدينة القتل^(٣٤)

وهنا نجد منلوجاً داخلياً يصور فيه بطريقة حوارية ذاتية مفترضة، يصور موقفه من هذه المدينة التي جاءت له بحضارة - ممثلة بارتداء الحذاء - حملت معها الكثير من الألم والرعب والضياح، أماتت المدينة او قتلت لديه اللحم بالمدينة التي كان قد تصورها، لذا فهو غير قادر على البقاء بها او تركها (ليس الحذاء او نزعه) اي غير قادر على مسايرة الحاضر ومتطلباته او العودة الى الماضي وقرينته وما كان يجد فيها من بساطه وانتماء وان لم تكن شوارعها مضاءة كما هو حال المدينة الان، لذا يقول:

لم يكن في قريني حذاء

او شارع مضاء
 او رغبة في سفرة تبعد عن مشارف المساء
 فمن اكون..؟!
 ومن اكون..؟! (٣٥)

لذا ووفقاً لكل ما سبق اضاع كنهه وما عاد يعرف نفسه متغرباً عن ذاته وعن مكانه، لذا يلح عليه سؤال ((من يكون..؟!)) فيستصرخ ذاته وكأنه يوجه الخطاب الى نفسه في منلوج يكاد ان يكون ديالوجاً عالي النبرة والصوت، او الى كل من يحاول ان يترك قريته وتأسره المدينة بأضواءها فيقول:-

-لا تقترب .. لا تقترب.. يالك من مجنون

ابعد عن الشوارع المضئية

فالنور كالخطيئة

ابعد عن الـ ..

أخاف ان تأسرك استغاثة التاريخ

والزمن

اخاف ان تأسرك المدن

اخاف ان تصير في حذائك العفن

لا عذر بعد اليوم . (٣٦)

واستناداً الى هذا الاحساس العالي بالاغتراب والنأي والنزوح عن الاخرين والواقع، يلح عليه احساس بضيق الاماكن والابواب الموصدة دونه، وكأن بينه وبين واقعه ومجمعه ابواب مغلقة لا يقوى على فتحها ومن ثم على التفاعل الروحي والنفسي والفكري مع ذلك الواقع، وقد عبر عن هذه الابواب الموصدة دونه في نصوص عدة^(٣٧)، منها نصه (الطرد) الذي يجسد فيه بطريقة مباشرة ذلك الخيال المستمد من موقفه من الواقع والزمن، اذ هو ((خيار ذهني، متعقل، يستهدف ((الفكرة)) يصوغها بلغة تأملية محكمة، شعرياً تسكنه الصلبان والسجين والسجان، وازدواجية الانسان والقتل والبحث عن هوية، واحكام الزيف وابتهالات الغفران والانسان المسكون بالجريمة))^(٣٨)، فيقول في هذا النص:

ولدت خلف الباب

كبرت
 خلف الباب
 وخلف هذا الباب
 كم مرة صار الهوى في جسدي
 مخالباً
 وناب
 كم مرة يا دمي المسفوح للتراب
 يا ايها الحاضر في الغياب
 كنت انا القاتل
 والمقتول ...كنت الجرح والذباب^(٣٩)

وهذا المقطع يمكن ان يعد تجسيداً واضحاً لمفهومي الاغتراب والوجودية وما ينطويان عليه من مفاهيم ورؤى للإنسان المتغرب المنساق مع الفكر الوجودي بوعي او بلاوعي من خلال الابواب الموصدة والرغبات المكبوتة وبشاعة الدم المسفوك والانسان والثنائيات الضدية التي يجسدها بوصفه القاتل والمقتول / الحاضر الغائب/ وهو الجرح والذباب.

فالوجودي غالباً ما يشعر ((بأزمة وبتهديد ويتمزق واغتراب))^(٤٠) مرد ذلك كله القلق الذي يشكل واحداً من اهم موضوعات الوجودية الذي يدفع من يعانیه الى الانزواء والاعتكاف بعيداً عما يسبب له القلق وحالة اللا أستقرار او ان يكون مصدراً لديه للخوف والموت، وهو ما يضيفي من ثم صفة الاغتراب.

لذا غالباً ما جاء الانسان - سواء أكان هو ام الآخر- في نصوص بلند إما قاتل او مقتول، كما جاء في النص السابق او في قوله:

والقاتل والمقتول، انا
 لا شيء سواي انا
 معنى

يتململ في قطرة دم^(٤١)
 أي لا شيء ولا احد سواه، هو القاتل والمقتول، هو الفكرة الموت، يَفْتَل وَيُقْتَل
 من اجلها، متأرجحاً بلند في كل مجموعته بين اليأس والأمل، فتارة - يختم نصه
 بأمل يعلل نفسه به، من ذلك قوله على سبيل المثال لا الحصر.

لكن وراء الابواب المسدودة
مازال لنا وعد بالثورة
مازال لنا من يحلم بالثورة
من يدري
قد لا يشرب قهوته.. مره (٤٢)

وقد ختم مجموعته بهذا النص التفاضلي المتطلع الى غد تتحقق فيه الثورة
المنشودة منسية ثوارها وابناءها مرارة ما شربوه في سبيلها، على الرغم مما دار
في هذه المجموعة من خيبات امل وانهازمات سياسية ومن ثم نفسية افضت في
كثير من الاحيان الى طغيان حالة الشعور باليأس وعدم جدوى الاحلام وعدم
امكانية تحقيقها، من ذلك قوله في مستهل نصه (دعوة للخدر):-

لتصمت الاجراس
واقفاً بعقب حذائك الشمس
واطفى عيون الناس
فليس في مدينة النعاس
غد. ولا امس
ونم (٤٣)

وهنا دعوة لإسكات الاجراس التي يعني بها الثورة والافكار والتطلع لما يمكن ان
يكون عليه الاتي الذي طالما انتظروا شروقه، لذا بعد ان دبّ اليأس فيهم اراد
قتله ومحوه بأن يضرب بحذائه (الشمس) وان يغمض العيون المتطلعة لذلك الغد
فالمدينة في حالة نعاس وكسل لذا لم يكن هنا امس يذكر ولا غد ينتظر فتم
واستكن لذا يكرر تقريبا هذا المقطع في الخاتمة بقوله:

فتم
اطفى عيون الناس
ونم
ولتصمت الاجراس
لتصمت.. الـ ..
رأس
أس (٤٤)

فينكشف هنا من خلال التقطيع الصوتي ان الاجراس ما هي الافكار التي ترن في الرأس موجعة ذلك الحارس المتعب وابقته في حالة سهر وترقب لذا هي دعوة للنوم وطرد تلك الاجراس يأساً واستسلاماً وعجزاً عن تحقيقها لذا تدوير النص هنا وربط البداية بالنهاية يمكن ان يكون تكتيكاً مقصوداً وفقاً لمبدأ فكري وجودي عند بلند آمن باللا جدوى فلا فرق بين الأمل والغد لاشترك الأمل (البداية) والغد (النهاية) بخيبات الأمل، وتأرجح الشاعر بين اليأس والأمل لم يترك له الا خيار الانتظار ((فهو اولاً صاحب قضية، ليس امامه الا الانتظار حتى الرمق الأخير، وهو ثانياً محاصر بالاعتراب اجتماعياً ونفسياً وسياسياً، واليأس المطلق يخنقه، وقد يقضي عليه، ولذلك حسبه بعض الأمل يستعين به على مواصلة حياته))^(٤٥) هذا الأمل الذي امدته بالقدرة على الانتظار فلا سبيل آخر امام امله وحلمه وعجزه عن تحقيق ذلك الحلم:-

سأظل هنا

وسأنتظر الدور الثاني^(٤٦)

وان كان يستشعر في كثير من الحالات بعدم قدرته على الفعل او تحقيق الرؤى المتأملمة مما عظم لديه احساسه بأنه مصلوب وعاجز.

لكنني بقيت مصلوباً لدى الجدار

ومثلما اردتني

بقيت كالمسمار

اغور في عينيها

اغور في سريها

اغور في الجدار.^(٤٧)

فقد اكتفى بدور المتفرج هنا والمطلع على فعل الثوار بلا قدرة على اتيان المثل لما كان قد تشبع به من افكار خلقت لديه حالة الانعزال والانطواء بعيداً عن ساحة الحدث المؤثر والفاعل، ولعل نص (اعترافات من عام ١٩٦١). يحفل بهذه الصور، أي صور الصلب والتكرار الممل والانتظار والانعزال والانطواء بفعل ما مرّ به من تعذيب وتكليل بسبب ما كان يؤمن به ويعمل على تحقيقه على ارض الواقع بالفعل والقول متخذاً الصمت ملاذاً بعدما عجز عن ان يجد من

يجيب عن كل تساؤلاته ويفهم ما يدور في رأسه او ان يشاركه ما مرَّ به من
 عذابات جسدية ونفسية:-
 مصلوباً ما بين الألفين الكوفيين
 وبين الحرف المتسائل عن حرف

 صرنا طعماً للنار
 للسكري.. والقرحة.. والقهوة.. مره
 والثورة
 صارت هذين الألفين الكوفيين
 وهذا الرأس المرمي على الطاولة منذ سنين
 لم يفهم فراشي شيا

 وبلهفة
 سدَّ عليّ الباب .. على الألفين الكوفيين
 على اسمك يا..
 وغرقنا في صمت الغرفة (٤٨)

وهذا الصمت والانطواء والانعزال هو ما لجأ اليه هذا الشاعر المتغرب وان كان
 جمر الثورة والتغيير مازال تحت رماد روحه المتعذبة بفعل كل ذلك الاحساس
 العالي بالوجود وبشاعته وما المَّ به بفعل ما آمن به من حق في التغيير
 والاصلاح.

نستخلص من كل ما سبق ان هذه المجموعة تجسيد واضح لحالة الاغتراب
 الفكري والنفسي ومن ثم الروحي بفعل الواقع وما فرضه الفكر الوجودي الذي
 انتهجه، لما وجد فيه من افكار ورؤى كان قد دفعه اليها تأزمه من حيثيات ذلك
 الواقع وتشظيه وازماته، لذا وجدنا الربط الواضح بين الحالة الانفعالية الاغترابية
 المستندة الى الفكر الوجودي الايديولوجي الذي انطلق منه وشكل رؤياه
 وتصوراته لذلك الواقع والمجتمع الذي وجد فيه الشاعر.

الهوامش

- (١) الاغتراب في الشعر العراقي، محمد راضي، بحث من الانترنت
- (٢) كتاب العين، الفراهيدي: ٤/٤١٠، لسان العرب، ابن منظور ١/٦٣٨، تاج العروس: الزبيدي ٣/٤٥٧ - ٤٦٠.
- (٣) معجم مفردات الفاظ القرآن: الراغب الاصفهاني، ٤٠١ - ٤٠٢.
- (٤) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: الغربية والحنين في الشعر الاندلسي رسالة: احمد حاجم محمد ص ٩، الغربية في الشعر العراقي في القرن العشرين. فليح كريم الركابي ص ٩٤
- (٥) الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب. احمد عودة ص ١٢
- (٦) الاغتراب سيرة ومصطلح. محمود رجب ص ٣١
- (٧) ينظر:- الاغتراب في شعر نازك الملائكة اطروحة: ماجده عبد الكريم ص ٧-٨، الاغتراب في شعر الشاعرين محمود درويش وشيكو بيكة رسالة: كيلاس محمد عزيز ص ١٩
- (٨) ينظر: الاغتراب في شعر احمد الصافي النجفي رسالة: وفاء عبد الامير ص ٥
- (٩) الاغتراب في شعر نازك الملائكة ص ٨
- (١٠) الاغتراب في شعر ابي العلاء المعري. رسالة رفل حسن طه ص ٧
- (١١) ينظر الاغراب في شعر الشاعرين ص ٢١ - ٢٢
- (١٢) للتفصيل في هذه الظاهرة في الشعر العربي ينظر على سبيل المثال لا الحصر: الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب ص ٢٠ - ٤٧ الاغتراب في شعر نازك الملائكة ص ١٧ - ٢٢
- (١٣) تعددت الدراسات التي عمد اصحابها الى تتبع اسباب ظاهرة الاغتراب في العصر الحديث، لا سيما عند الشعراء المحدثين ومن تلك الدراسات على سبيل المثال ينظر: غربة الروح. د. احمد مطلوب ص ٣٨. موضوعات القصيدة العربية رسالة سهير صالح ابو جلود ص ٧٨ - ٧٦
- (١٤) الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً. د. قيس النوري ص ١٧
- (١٥) بعض قضايا الفكر العربي المعاصر. جلال فاروق الشريف. ص ٤٣
- (١٦) الوجودية مذهب انساني. جان بول سارتر. ص ١٢
- (١٧) م. ن. ص ١٤
- (١٨) الوجودية. جون ماكوري ص ٣٧٦
- (١٩) الاغتراب في شعر احمد الصافي النجفي ص ٨
- (٢٠) بحثاً عن الشعر. رفعت سلام ص ٣٩

- (٢١) م. ن. ص ٣٩ - ٤٠
- (٢٢) ينظر: الاغتراب في الشعر العراقي (بحث من الانترنت)
- (٢٣) ينظر: الغربية في الشعر العراقي في القرن العشرين. ص ١٢٢ - ١٢٩
- (٢٤) موسوعة اعلام العرب المبدعين في القرن العشرين. خليل احمد ص ٣٨٠
- (٢٥) بلند الحيدري شاعراً، رسالة نازه نين علي محمد ص ٨٥
- (٢٦) مجموعة (اغاني الحارس المتعب) بلند الحيدري ص ٥٣٣
- (٢٧) م. ن. ص ٥٣٧
- (٢٨) م. ن. ص ٥٣٧
- (٢٩) م. ن. ص ٥٥٥ - ٥٥٦
- (٣٠) م. ن. ص ٥٥٨
- (٣١) م. ن. ص ٥٥٩ - ٥٦٠
- (٣٢) الوجودية مذهب إنساني. جان بول سارتر ص ٥ - ٦
- (٣٣) الاغتراب في الشعر العراقي (بحث من الانترنت)
- (٣٤) المجموعة ص ٥٦٧ - ٥٦٨
- (٣٥) م. ن. ص ٥٧٠
- (٣٦) م. ن. ص ٥٧٠ - ٥٧١
- (٣٧) ينظر نصوصه: بين مسافتين ص ٥٧٩، اعترافات من عام ١٩٦١ ص ٥٨٣
- (٣٨) بحثاً عن الشعر ص ٨٣
- (٣٩) المجموعة ص ٥٧٣
- (٤٠) الوجودية ص ٣٧٦
- (٤١) المجموعة ص ٥٥٤ - ٥٥٥
- (٤٢) م. ن. ص ٥٩٠
- (٤٣) م. ن. ص ٥٤٥
- (٤٤) م. ن. ص ٥٤٧
- (٤٥) الاغتراب في الشعر العراقي (بحث من الانترنت)
- (٤٦) المجموعة ص ٥٥٦
- (٤٧) م. ن. ص ٥٤١ - ٥٤٢
- (٤٨) م. ن. ص ٥٨٥ - ٥٨٩

المصادر

- ١- الاغتراب سيرة ومصطلح. محمود رجب. القاهرة. ١٩٨٨
- ٢- الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب. احمد عودة الله الشقيرات (ط١) دار عمار. الاردن. عمان ١٩٨٧
- ٣- بحثاً عن الشعر. رفعت سلام. (ط١) الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة ٢٠١٠.
- ٤- بعض قضايا الفكر العربي المعاصر. طلال فاروق الشريف. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٧٤
- ٥- تاج العروس من جواهر القاموس. السيد محمد مرتضى الزبيدي دار مكتبة الحياة (د.ت) تحقيق مجموعة من الاساتذة
- ٦- غربة الروح، قراءة في شعر ابراهيم السامرائي. د. احمد مطلوب. منشورات المجمع العلمي العراقي. مطبعة المجمع العلمي ٢٠٠٧م.
- ٧- الغربة في الشعر العراقي في القرن العشرين. أ. د. فليح كريم الركابي ٢٠٠٧
- ٨- كتاب العين. الخليل بن احمد الفراهيدي. تحقيق عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية(ط١) ٢٠٠٣
- ٩- لسان العرب. لأبن منظور. دار صادر. بيروت ١٩٥٦
- ١٠- مجموعة (اغاني الحارس المتعب) بلند الحيدري. (ط١) دار سعاد الصباح. القاهرة ١٩٩٣
- ١١- معجم مفردات الفاظ القرآن. العلامة الراغب الاصفهاني. تحقيق نديم مرعشلي دار الكاتب العربي. دار الفكر ١٩٧٢
- ١٢- موسوعة اعلام العرب المبدعين في القرن العشرين. خليل احمد خليل المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت (ط١) (ج١) ٢٠٠١
- ١٣- الوجودية. جون ماكوري. ت. د. إمام عبد الفتاح امام . مراجعة د. فؤاد زكريا. عالم المعرفة. تشرين الاول ١٩٨٢
- ١٤- الوجودية مذهب انساني،جان بول سارتر. ترجمة. عبد المنعم الحفني. مطبعة الدار المصرية. ١٩٦٤

الرسائل والأطاريح

- ١- الاغتراب في شعر ابي العلاء المعري. رفل حسن طه. رسالة ماجستير. كلية التربية ابن رشد. جامعة بغداد ٢٠٠٠
- ٢- الاغتراب في شعر احمد الصافي النجفي. وفاء عبد الامير رسالة ماجستير. كلية التربية. جامعة الكوفة ٢٠٠٥
- ٣- الاغتراب في شعر الشعاعين محمود درويش وشيركو. كلاس محمد عزيز رسالة ماجستير كلية التربية للبنات. جامعة بغداد ٢٠٠٥
- ٤- الاغتراب في شعر نازك الملائكة. ساجدة عبد الكريم. أطروحة دكتوراه. كلية التربية للبنات. جامعة بغداد ٢٠٠٦
- ٥- بلند الحيدري شاعراً. نازه نين محمد . رسالة ماجستير كلية الاداب جامعة صلاح الدين. ١٩٨٩
- ٦- موضوعات القصيدة العربية المعاصرة. سهير صالح ابو جلود. كلية الاداب. جامعة بغداد ١٩٩٨

الدوريات

- الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً. د. قيس النوري. مجلة عالم الفكر (١٤) (مج ١) ١٩٧٩

الانترنت

- الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر (مرحلة الرواد) دراسة محمد راضي جعفر. منشورات اتحاد الكتاب العرب (٢٠٠٣) كتاب الكتروني
www. Hdrmut. Net\ vb\ t 132747. Htm.